

الفاطمية في الدراسات الأكاديمية العراقية

الدكتور نافع الحمداني

تحتل الدراسات الأكاديمية في العالم عامة، وفي العراق خاصة، أهمية كبيرة في التطور العلمي، لما تمثله هذه الدراسات من رافد علمي رصين. إذ منذ وضع الحجر الأساس لهذه الدراسات في العراق عام ١٩٧٠، وحتى وقتنا الحاضر كُتبت عشرات، بل مئات الدراسات، عن مختلف الموضوعات العلمية، سواء في التاريخ القديم أو الإسلامي أو الحديث والمعاصر، وخرجت هذه الدراسات بنتائج جديدة لاتباعها المناهج العلمية المعروفة في المحافل الأكاديمية على مستوى الجامعات العريقة.

وفي الورقة التي أقدمها اليوم أتعرض لأحدث دراستين أكاديميتين نوقشتا هذا العام، وهما الدراستان المعنوتان (المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية ٢٩٧ - ٥٦٧ هـ/ ٩٠٩ - ١١٧١ م) للمرشحة غنية ياسر كباشي، والنظام المالي في مصر خلال العصر الفاطمي ٢٥٨ - ٥٦٧ هـ/ ٩٦٩ - ١١٧١ م، للمرشح ثامر لفته حسن الساعدي، وقد أجيّزت و نالتا درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي من كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).

وتقع الدراسة الأولى في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة: تناول الفصل الأول (الظهور السياسي للدولة الفاطمية)، وفيه حددت الأصول العلوية للدولة الفاطمية وتوضيح العلاقة بين الدعوة الإسماعيلية الدعوة الفاطمية، ثم استعرضت بشكل موجز الظهور السياسي لها في المغرب، ومن ثم انتقلها إلى مصر.

أما الفصل الثاني فقد ضم (مراكز الإشعاع الثقافي في الدولة الفاطمية)، إذ تعرضت لطبيعة مجالس الدعوة الفاطمية ونظمها، ودور الخلفاء والوزراء الفاطميين في دعمها، وأبرز المراكز الدينية والعلمية والثقافية التي قاموا بإنشائها.

وكرس الفصل الثالث لبحث (ميادين المعرفة الثقافية في العصر الفاطمي)، وبيان حركة العلم والعلماء الذين برزوا في عهد الدولة الفاطمية في مختلف فروع العلوم الإسلامية الأدبية منها والعلمية والإنسانية.

وتعرض الفصل الرابع لـ (مشاهير أرباب الفكر والعقيدة وأثارهم العلمية في الدولة الفاطمية)، وبيّن حياة العلماء الذين برزوا في عهد الدولة الفاطمية وإنجازاتهم.

وبحث الفصل الخامس (المؤثرات الثقافية الفاطمية المتبادلة في الأقاليم الإسلامية)، إذ تطرق إلى المؤثرات الفاطمية على تلك الأقاليم، وإلى أشهر العلماء الذين تأثروا بالدعوة الفاطمية في بلاد المشرق الإسلامي والأندلس، وقدرة المؤسسات الثقافية الفاطمية، بخاصة المدارس، على جذب أهل العلم والمعرفة إلى تلك المؤسسات.

وختمت الدراسة بخاتمة لخصت أبرز النتائج التي توصلت إليها إذ أشارت إلى أن الدراسات العراقية السابقة التي تناولت الجوانب الفكرية والثقافية للدولة الفاطمية، كانت قليلة، واتسمت معلوماتها بالغموض والالتباس في كثير من الأحيان لأسباب مذهبية وسياسية؛ فالتغيرات السياسية في العراق كانت تقود أحياناً إلى الميل إلى طرف معين دون آخر، مما قد يولد رد فعل عكسي معين لدى ذلك الطرف، وهذا كان ينطبق على الدولة الفاطمية.

أما الدراسة الثانية فهي بعنوان «النظام المالي في مصر خلال العصر الفاطمي ٣٥٨-٥٦٧ هـ / ٩٦٩-١١٧١م»، للمرشح ثامر لفته حسن الساعدي. وقد نالت الأطروحة درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

انتظمت هذه الدراسة بمقدمة، وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. أشار التمهيد إلى نطاق الدراسة مع عرض لمصادرها، ثم نبذة عن نشأة الدولة الفاطمية، وهو ما تناوله تمهيدها. أما الفصل الأول فقد تعرض لأهم موارد الدولة الفاطمية وطرق جبايتها.

خصص الفصل الثاني لمتابعة نفقات الدولة الفاطمية وأوجهها المختلفة. أما الفصل الثالث فقد ناقش إدارة الدولة المالية، إذ كان للفاطميين جهاز إداري منظم، سواء لإدارة الأقاليم أو لإدارة شؤون الحكم أو إدارة النظام الإداري المالي فيها.

وانصب الفصل الرابع على دراسة النقد والسكة في الدولة الفاطمية ومستوى الدينار الفاطمي تجار الدينار العباسي الذي كان وسيلة التعامل في مصر.

وتخلص الأطروحة إلى أن الصراع السياسي الذي أرهق الأمة الإسلامية، لا يمكن أن نفهمه من غير أن ندرك عمق التحولات الاقتصادية التي عاشها المجتمع، بخاصة وأن النشاط الاقتصادي للدولة يحدد طبيعة النظام المالي فيها.

لم تكن هاتين الإطروحتين هما الوحيدتان اللتان تناولتا تاريخ الدولة الفاطمية وحضارتها، بل أن هناك عدداً كبيراً من الدراسات الأخرى التي تناولت جوانب أخرى مثل رسالة حيدر لفته سعيد مال الله، «المعز الدين لدين الله الفاطمي وأثره في المغرب ومصر ٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥١-٩٧٥ م»، كلية الآداب، جامعة الكوفة ٢٠٠٥، ورسالة وسيم عبود العباسي، «الحاكم بأمر الله ٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠ م»، جامعة الكوفة ٢٠٠٤، وغيرها كثير.

ولم تكن الإسماعيلية بمنأى عن هذه الدراسات، إذ نوقشت رسالة حديثة العهد جداً في كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧ تتناول الجوانب المختلفة من تاريخها الإسلامي، والله الموفق لطريق الخير، القائم على التقارب الفكري والعقائدي للمذاهب المختلفة، إنه سميع مجيب..